

اليوم ليس من صنعها ولكنه نتيجة مؤامرة ثلاثية امريكية بريطانية اسرائيلية « (١٧) ، أي ضد « قوى الامبريالية والاستعمار » (١٨) . ومع ذلك تركّز بعض الصحف على قوة امبريالية دون أخرى ، « حكومة بون زودت اسرائيل بسم فتاك يكفي لايادة سكان القاهرة » (١٩) . ان الفكر المبرر هنا يصل الى حد الخرافة ، لكن هذه الخرافة ليست متمايكة لان بعض الصحف تعتبر الهزيمة منوطة بشكل رئيسي بـ « قواعد عسكرية لامريكا وبريطانيا » (٢٠) .

مهما تكن طبيعة العدو الخارجي فان التبرير يهدف الى براءة وتقديس النظام المهزوم .

بعض الصحف تقلب الاطروحة وترممها لجعلها أكثر صلابة ، فالهزيمة لا ترجع الى عامل خارجي واحد بل الى عاملين : قوة العدو من ناحية وخديعة الصديق من ناحية ثانية . والاستقاط هنا يقع على الاتحاد السوفييتي اذ يصبح الفراغ الذي تغذف اليه كل مسببات الهزيمة . « فالاتحاد السوفييتي يعترف باسرائيل » (٢١) وهو مصدر لـ « خيبة الامل » (٢٢) ولقد ارتكبنا خطأ عندما « افرطنا في حسن ظننا بالدول الاشتراكية ونسينا ان اسرائيل قد خلقت بالتعاون العجيب بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا السوفييتية » (٢٣) . في البحث اللاهث عن التبرير المستحيل تلوي الصحافة عنق الحقيقة وتغبط الدور النشط والفعال الذي يلعبه الاتحاد السوفييتي في دعم حركة التحرر العربي ضد الصهيونية والقوى الامبريالية .

يفصح التبرير عن هشاشة محاكماته عندما يقوم بنقد ذاتي خجول ، فهو سرعان ما يتبنى اطروحة ثم يعود فيهجرها ، كل ذلك ليؤكد حقيقة واحدة هو أنه لا يحلل ولا يشرح بل يبرر أي يقوم بعكس شأنه للواقع ، لذلك فاننا نعثر في حقل التبرير على جملة محاكمات ، فالهزيمة تعود الى عدم المبادرة ، حيث ان الحرب ونتائجها تحدد بعنصر يتيم هو المبادرة « مفاجأة ضرب الطيران المصري حسمت المعركة في الساعة الاولى » (٢٤) . يظهر التبرير منذ البدء هشاً عندما يستعمل كلمة « مفاجأة » على الرغم من كل الظواهر التي سبقت الحرب والتي كانت تشير باستمرار الى اقترابها .

ويصل « عطارو الفكر » الى اقصى درجات الابتذال عندما « تشرح » الهزيمة بلغظية نفسانية « كان يمكن احراز النصر لولا عوامل تتعلق بالنفسية العربية المبنية على حب التظاهر والطيبة وكشف الاوراق ... وهذه العوامل يتقاسم مسؤوليتها الشعب العربي نفسه ثم القيادات الثورية » (٢٥) . اذن يمكن تجنب الهزيمة بتربية نفسية جديدة تحارب حب التظاهر ، وعلى هذا فالنقص يكمن في « جوهر الانسان العربي » ، ويتدارك المبرر هنا انه انتقد « القيادات الثورية » لذلك يعود ليلقي باللوم كله على الشعب العربي الذي « يريد من حكامه الثوريين والذين يثق بهم ان يعلنوا له كل شيء ، فاذا لم يعملوا ذلك يتهمهم بوطنيتهم » (٢٦) .

يكشف التخلف عن ذاته حتى لو لم يرد ذلك ، فالمنطق السابق ينشر التعمية والتضليل ، أي يقوم بدور وظيفي في تشويه الانسان العربي لحساب طبقة ، مع ذلك فهو يتكلم عن الديمقراطية المطلقة الكامنة وراء الهزيمة ، فمن اسباب الهزيمة اذن ليس علاقة القمع القائمة بين الطبقة المسيطرة سياسيا والفرد ، بل تعود الى فائض الديمقراطية في سوق البرجوازية العربية .

نقطة انطلاق التبرير اذن سلامة البنيان الداخلي . اذن فالبحث عن الاسباب يدور دائما في حقل خارجي ، في الحقل هذا تأخذ مقولة الوحدة العربية دورا في التبرير ، خاصة ان هذه الوحدة ترى كجمع ذوات عربية وليس مشروعا طبقياً موجهاً ضد